ندوة الاسلام والتصوف

جامعة الشيخ والمريد

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاربعاء الموافق ٥ من صفر عام ١٣٧٨ هـ - ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية • وقد حضرها من رجال الطرق الصوفية الاساتذة : السيد محمود فضل شيخ السادة البيومية ، والسيد عبد العليم البكرى وكيل المشيخة العامة بمديرية بنى سويف ، والسيد الحاج عبد السلام عطوان عضو مجلس الامة ووكيل المشيخة عن مركز الحسينية ، والسيد ابراهيم محمد وكيل المشيخة العامة ، والسيد يحيى الزينى •

وحضرها من أعضاء الندوة الاساتذة : السيد محمد محمود علوان ، الدكتور محمد غلاب ، الدكتور محمد وصفى ، حسن علوان ، طه عبد الباقى سرور •

واعتذر عن الحضور بسبب السفر المفاجىء الاساتذة : الدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمد لبيب البوهى •

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور • موضوع الندوة وهو :

« جامعة الشيخ والمريد »

• سماحة السيد محمد محمود علوان

ان الطرق الصوفية ، هى فى حقيقتها جامعات كبرى للتربية والتهذيب والتعليم ، فوق رسالتها الاصيلة وهى الدعوة الى الله سبحانه ، وهداية المريدين الى الصراط المستقيم ، وارشادهم الى المنهج الموصل الى رضوان الله ومحبته بالذكر والعبادة ، وتطهير القلب ، وتزكية الجوارح ورياضة الروح وخدمة المجتمع ، والدعوة الى مكارم الاخلاق ، والعمل على التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر •

وهذه الجامعات التربوية ، هى اقدم واعرق الجامعات العالمية وما أظن أن هناك جامعة من جامعات العلم فى القديم والحديث اتسعت آفاقها وبرامجها كما اتسعت آفاق تلك الجامعات الصوفية •

وما أحسب أن استاذا من أساتذة التربية في أي جامعة من الجامعات والمدارس التي عرفتها البشرية ، تعددت واجباته أو نهض بالعبء الضخم الذي نهض به الشيوخ حيال مريديهم وتلاميذهم ، فالشيخ في الطريق ، مربي ، ومعلم ، ومرشد ، ووالد ، فمن واجباته فوق التعليم والتلقين ، مراقبة قلب مريده ، وخواطره وارداته ، أو كما يقول الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي :

« .. يعرف من مريده ، موارد حركاته ومصادرها ، وعلوم الخواطر مذمومها ومحمودها ، ويعرف الانفاس والنظرة ، ويعرف ما لهما وما يحتويان عليه من الخير الذي يرضى الله ، ومن الشر الذي يسخط الله ، ويعرف العلل والادوية ، ويعرف الازمنة والالسن والامكنة والاغذية وما يصلح المزاج وما يفسده ، والفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخيالي ، ويعلم التجلي الالهي ، ويعلم التربية وادوارها ، ويعلم ما للنفس من الاحكام ، وما للشيطان من الاحكام ، ويعلم الحجب ، ويعلم ما تكنه نفس المريد ، مما لا يشعر به المريد ، فهم ادباء الله العالمون بآداب الحضرة ، وما تستحقه من الحرمة .

والجامع لمقامهم ، ان الشيخ عبارة عمن جمع جميع ما يحتاج اليه المريد السالك في حال تربيته وكشفه ، الى ان ينتهي الى الاهلية لوظيفة الشيخ المرشد ، وجميع ما يحتاج اليه المريد اذا مرض خاطره وقلبه بشبهة وقعت له لا يعرف صحتها من سقمها .. وحرمة الحق في حرمة الشيخ ، وعقوقه في عقوقه » .

• الدكتور محمد غلاب .

جامعة الشيخ والمريد ، وما ينجم عنها من التربية الصوفية ، او التأدب الصوفي .. وقبل أن نعرض للتربية الصوفية ينبغي ان نلمح لمحة خاطفة الى المربين ، وهم المريدون ، والاساتذة وهم الشيوخ ، شيوخ الطرق ، وقبل أن نعرض أيضا لشيوخ الطرق ، ينبغي أن نشير اشارة خاطفة الى تعريفات الطرق ، او الى ابدع او ارشق ما عرفت به الطرق الصوفية من لدن العلماء النزهاء ، والباحثين الاوفياء ، الذين أسلموا من علماء الغرب ، بعد أن درسوا الاسلام ، وعلى الاخص بعد أن درسوا الطرق الصوفية ، وآمنوا أو أسلموا بوساطتها .

ومن هؤلاء المرحوم الاستاذ ، رينيه جنوى ، المعروف باسم عبد الواحد يحيى ، وتلميذه الاستاذ ، بيير بنسواى ، وتلميذهما الاستاذ « لويس جرديه » وان كان هذا الاخير لم يشهر اسلامه ، ولكنه فهم الاسلام والصوفية حق الفهم .

من هذه التعريفات التى عرفوا بها الطرق الصوفية قد أخذنا تعريفين ، أحدهما ادبى والآخر علمى ٠

فأما الادبى فهو : ان الطرق الصوفية هى البريد السماوى الذى يهبط برسالة الملأ الاعلى الى أهل الدنيا ، واما التعريف العلمى ، فهو ان الطرق الصوفية هى الوسائل المتعددة الى الغاية المثلى ، أو العليا ، وهى الوصول الى الله ، أو هى الفروع المتعددة للدستور الاسلامى الأعلى ٠

وبعد أن ابنا ، أو قدمنا فكـــرة عن تعريفات هذه الطرق لدى هـــؤلاء العلماء ، الذين درسوا وفهموا ، نستطيع أن نقول : ان كل طريق له شيخ، أو له مؤسس ، وله بعد ذلك خلفاء لان المؤسسين لا يعيشون ابد الدهر ، وعندما يموتون يخلفهم على هـــذه الطـــرق خلفاء يسيرون على نهجهم ، ويسترشدون بهداهم ، وهؤلاء الخلفاء قد لا يصلون فى الدرجة الى مستوى شيوخهم الاولين ، وقد يكون بينهم الضعيف ، وغير الواصل وصولا تاما ، وهذا كان يقتضى ان تضعف التعاليم بضعف الخلفاء ، او تختلف عن تعاليم المؤسس الاول ٠٠ لولا أن هذه التعاليم لا يتصرف فيها هؤلاء الخلفاء حسب عقلياتهم وازمنتهم ومعارفهم الخاصة ، وانما هم كالاسلاك الكهربائية التى توصل الحرارة من الام الى اللامس للكهرباء ، فهذه التعاليم تخترق اولئك الخلفاء دون أن تتغير أو تتبدل لانها أسرار سماوية تجتاز هذا الخليفة دون أن تضعف بضعفه ، أو تتغير بنقصه عن المؤسس الاول للطريق ٠

وهذا سر من أسرارها الخالدة التى دخلت فى قوله سبحانه وتعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، ولذلك لا خوف على الطرق ، ولا على تعاليمها واسرارها ، مهما طالت الازمنة ، او تغيرت العصور ، أو فسدت الاحوال ، أو طغت عليها المدنية المادية ٠

فلهذا نجد ان المريد يســـتفيد الان من الخليفة كما كان جده القـــديم يستفيد من الشيخ الاصلى للطـــريق ، وهو يتأدب بالآداب الصـــحيحة الحقيقية ، ويتلقى التربية النافعة التى كان يتلقاها مريدو الشيخ الاول ٠٠ وهذه نقطة يجب التنبيه عليها ، والالتفات اليها ٠

هذه الآداب التى كانت بالامس ، والتى هى اليـــوم ، ولم تتغير ، هى الآداب المثالية السامية التى لا مطمع بعدها لمستزيد ، وهى تتلخص فى اتباع أوامر الله ، واجتناب نواهيه بحذافيرها ، لا لشىء الا للرضـــاء الالهى فحسب ٠

ونحن نرى الآداب المدنية تهدف الى غاية دنيوية من توطيد النظام

أو صلاح الامة ، أو تقدمها السياسى ، او الاجتماعى ، ولكن الآداب التى لا تقصد سوى وجه الله وحده ، ورضى الله وحده ، لا شك تكون أسمى بكثير من تلك الآداب التى تهدف الى غايات دنيوية .

والمريد أول ما يجب عليه هو الحب المفرط لشيخه ، ومهما عبرنا بكلمة مفرط فاننا لا نغالى لان من يوصلك الى الله لابد أن يكون اسمى المحبوبين اليك ، اذ أن جميع غايات الحب الدنيا ضئيلة تافهة الى جانب هذه الغاية العليا ، واذا وضع المريد نصب عينيه هذه الغاية أحب شيخه الى حد التفانى ، واذا احبه الى حد التفانى تشرب تعاليمه دون عناء او تعب ، واذا تشرب تعاليمه الى هذا الحد لابد أن يفوز بتلك الغاية العليا ، واذا قلنا تعاليمه ، فاننا نقصد التعاليم الاولى التى وردت على لسان الشيخ المؤسس الاول كما اسلفنا .

ولقد ورد فى التعاليم الاسلامية الظاهرة ان طاعة الله هى للجنة ، ولتجنب النار ، أو للفوز بالحور العين والفاكهة ولحم الطير وغير ذلك ، ولكن فى الواقع التعاليم الصوفية لا ترمى الى شىء من هذا ، وانما ترمى الى وجه الله جل جلاله وحده ، وفى هذا يقول الامام ابو حنيفة : « اللهم انى عرفتك حق معرفتك ، ولم اعبدك حق عبادتك ، فاغفر لى قولا بلا عمل ، وشفيعى فى هذا انى لم أعبدك خوفا من نارك ، ولا طمعا فى جنتك ، وانما لوجهك ولوجهك فقط » .

• الدكتور محمد وصفى .

اننى أرى أيضا ، ان الطرق الصوفية ، أو الجامعات الصوفية كما تحبون أن تسمونها ، كان لها الاثر الكبير فى اصلاح المجتمع الاسلامى ، وتطهيره من المفاسد والرذائل والجرائم الخلقية والمادية والجنائية، لقد ساعدت التربية الصوفية بما فيها من كمال وتسامى ومحبة ، خالصة لله ، واقتداء كامل برسوله ، وحرص على النقاء والصفاء ، وتمسك شديد بمكارم الاخلاق ومعاليها ، على ايجاد المجتمع الاسلامى النقى الطاهر السليم اجتماعيا وخلقيا ونفسيا ومعنويا .

كما أحب أن أشير هنا الى الاثر العظيم للعهد الذى يعقد بين الشيخ ومريده ، أسوة ببيعة الصحابة لرسول الله ، لقد أوجد هذا العهد رهبة ، وأوجد هوه غالبة متسلطة فى نفس المريد ووجدانه عصمته من العودة الى ماضيه ، ودفعته الى الحرص الشديد على ما لقنه الشيخ وعاهده عليه . اذ عهد الشيخ من عهد الله .

● الدكتور محمد غلاب :

لا جدال فى أن هذه التربية الصوفية ، كان لها أكبر الاثر فى القضاء على الرذائل فى البيئات الاسلامية ، لاننا نرى وقد شاهدت أنا شخصيا هذا مئات المرات ، ولا سيما فى القرية المصرية عندما يحل الشيخ ، ويهرول الشباب اليه ليأخذوا عليه العهد

•• هؤلاء الشباب الذين كنا نراهم يأتون الموبقات الكثيرة ، حينما يتصاون بهذا الشيخ ويأخذون عليه العهد ، يوضع حد فاصل بين ماضيهم ومستقبلهم ، فاذا جاءت الى هذا الشاب الذى أخذ العهد عصابته القديمة التى كان يعمل الموبقات بالاشتراك معها ، قال لهم ابتعدوا عنى ، فانى قد أخذت العهد وهو يعتقد أنه اذا أتى ذنبا بعد اليوم فان المصائب والكوارث ستنصب عليه فى الدنيا هو وأسرته ، هذا الى جانب ماينتظره فى الآخرة ، لانه وعد الله ثم أخلف وعده مع الله • « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم »

ونحن اذا تأملنا فى هذا المعنى لم نملك الا ان نملأ احتراما واجلالا لهذه الطرق لان المريد اذ يعتقد انه قد ارتبط مع شيخه بموثقة من الله لان العلماء ورثة الانبياء

اذا اعتقد هذا امتلأ رهبة واجلالا لعهده ، ومن ثم أحدث هذا العهد فى نفس المريد أثرا أكبر وابلغ من كل آثار القانون

اننا عندما نسمع كلمة القانون فى مجلس من المجالس أو قاعة من القاعات تدوى عالية قائلة ــ باسم القانون ــ افعل كذا • نحس أننا نملأ رهبة من هذه الكلمة

وتسأل ما سر احترام هذا القانون واجلاله الى هذا الحد ، فيجيب المجيبون لانه هو الذى يحمى المجتمع من الرذائل ، ويحفظ حق الضعيف ضد القوى ، والفقير ضد الثرى ، ونحن اذا تأملنا فى هذا القيد أن المسجنين عن الجرائم خوفا من القانون أقلية مسحوقة مغلوبة •

بل أن كثيرا من المجرمين يظلون على اجرامهم أعواما طويلة دون أن يكتشفهم القانون بيد أننا فى حالة العهد الصوفى اذا تأملنا فى ذلك الذى يريد أن يفعل الجريمة أو الرذيلة نجد أنه وقد أحدث العهد فى قلبه توهجا دينيا ويقظة ورهبة نجد أنه يحس بأن الله الكبير المتعال عالم الغيب يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم ما فى الارض ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها •

فهذا المذنب الذى يعلم أن الله يحيط به ويراقبه ، يمتنع عن الذنوب ، ولو لم ير رجال القانون ، ويخشى الله ويؤنبه ضميره ورجال القانون نائمون فاذا كان خوفنا من القانون يوجب احترامه ، فيجب أن يوجه هذا

الاحترام أضعافا الى التعاليم الصوفية . والتربية الصوفية . التى تحمى المجتمع أضعاف ما يحميه القانون .

وبطبيعة الحال هذه الآداب التى يتلقاها المريد عن أستاذه ترتقى به فى سلم الصعود الى ربه ، ويظل يرقى من درجة الى درجة حتى يصبح هو شيخا بدوره ، ينقل بدوره التعاليم وهكذا دواليك أفرعا وأصولا .

● سماحة السيد محمد محمود علوان

ان الطرق الصوفية ، أو تلك الجامعة التربوية الكبرى هى التى أخرجت للعالم الاسلامى ، العباد والزهاد ، ورجال الاصلاح والعلم والاخلاق

انها هى التى حفظت الامة الاسلامية ووقتهـا من التيـارات الفكرية والالحادية والانحلالية ، وصمدت فى وجه الغارات الاستعمارية

يقول المستشرق «لين» فى كتابه — المصريون المحدثون — لقد أوجد المتصوفة فى البيئات الاسلامية أربعة مبادىء هيمنت على التفكير الاسلامى ، وهذه المبادىء هى : حب الله ، وحب رسوله ، والثقة بالاوليـاء وتقديرهم ، والايمان بشيوخ الطريق ، والخضوع لهم والاقتداء بهم وهذه المبادىء هى التى وقفت فى وجه الاستعمار الاوروبى وحالت بينه وبين خضوع المسلمين لمناهجه ونظمه وعاداته وتقاليده . بل حالت بين المسلمين وبين ما اريد بهم من التحلل من الاسلام كدين صامد فى وجه الغزو الاوربى ، وأسلوب أوربا فى الحياة »

● الاستاذ طه عبد الباقى سرور :

جامعة الشيخ والمريد ، كما أرادها أئمة التصوف وعلمـاؤه وأساتذته وكما عاشها وتذوقها المريدون الاصفياء الاتقياء البررة الهداة وكما عرفتها الحياة الاسلامية فى عصورها الصاعدة المضيئة .. هى جامعة القـرآن ، ومدرسة النبوة ، ومعهد التعالى الذى ينجب تدنيا تصورة انسانية للانسان العالى السامى ، الذى وجدت الخليقة من أجله ، الانسان الذى ارتضاه الله للحياة ، خليفة على أرضه ، واصطفاه وفضله وكرمه ليكون جديرا بنسبته الى خالقه ، جديرا بمن سجدت له الملائكة ، جديرا بحياة النور،النور الالهى الذى ألح اليه القرآن بقوله : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور »

فجامعة الشيخ والمريد ، هى الجامعة التى أنجبت رجالا هم التفسير الحى لآيات القرآن ، وهم الصورة التى ترمز وتومىء الى الجلال والكمال المحمدى .

هى الجامعة التى أحالت الكون فى نظر ابنائها الى محـاريب للطاعة والعبادة ، وساحات للذكر والنجوى ، ومهاد للرحمة والمحبة ..

هى التى حققت رسالة العالم الاسلامى ، رسالته كعالم مؤمن ربانى ، ورث الاديان كافة ، وأصبح يحمل وحده لواء النبوات والرسالات ، ويحمل وحده مهمة الانبياء والرسل ، فى الدعوة والهداية والارشاد والعبادة .

ومن هنا اتسعت رسالة الطرق الصوفية ، أو رسالة الجامعات الصوفية فأصبحت أكبر من أن تحدد بلفظ ، أو تقارن بشبيه ، وتعددت مجالاتها وأهدافها حتى شملت كل لون من ألوان الحياة .

كان الصوفى داخل نطاق تلك الجامعة مثلا أعلى فى الاخلاق والعبادة ، وفى الجهاد والمعرفة ، كما كان مثلا أعلى ، كصانع ، ومزارع ، وتاجر ، وحاكم .

كان يعد ويدرب ، نفسيا ووجدانيا وخلقيا وعقليا وروحيا ، ليكون النموذج المبين المنير للمسلم الكامل

ليكون منارة يهتدى بها الحيارى ، ويلوذ بها كل من ينشد السلام والامن ، والحياة الفاضلة الصاعدة الى الله ، والى الله وحده

ومن هنا احتاجت تلك الجامعة الى أساتذة من لون خاص ، كما احتاجت الى مناهج وتقاليد وآداب من طراز معين .

كانت المدارس التى أنجبت الفقهاء ، ورجال الكلام ، وعلماء الحديث والتفسير ، تعيش بجوار المدارس الصوفية ، ولكن الصوفى كان ينظر اليها نظرته الى مدارس أولية ، أو مدارس علمية لا تربوية ربانية ، مدارس تعد الناس لجامعته هو التى تسمو وتسمق فوق كل علم وفوق كل معرفة .

لانها جامعة كانت تصنع فوق العلم والمعرفة ، القلوب الحية ، والوجدان السليم ، والضمير اليقظ ، وكانت فوق هذا وذاك جامعة اختصت بعلم السلوك الموصل الى الله ، وتفردت بالعلوم الباطنية ، والالهامات الربانية ، والكشوف والفيوضات ، والانوار والكرامات

وهى علوم وآداب ومناهج تحتاج الى المرشد الربانى ، والمعلم العظيم الخبير بالنفس ومسالكها ومعارجها ، والقلوب وتلوناتها ومسارحها ، والعقول وسبحاتها وأهوائها

ثم بساط النور حيث الانس والقرب والنجوى ، وخلوة الكشف والحب والعطايا ، ومطالع الاحوال والمقامات ، ونطاق الاشواق والمعرفة الى غير ذلك مما يسمو ويسمو ، ويدق ويرق حتى لا يستطيع القلم تبيانا أو بيانا .

ومن هنا كنا نشاهد الاساتذة الكبار من العلماء والفقهاء يصلون بلوغهم الدرجات العليا فى الحياة ، يهرعون الى المدرسة الصوفية ليبلغوا كمالهم على أيدى أساتذتها .

يقول كاتب المتصوفة وشيخهم الامام القشيرى • فى ترجمته لابى على الثقفى : « لو أن رجلا جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف النـــاس كلهم لايبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يربيه ويريه عيوب أعماله ، ودعونات نفسه ، لا يحل الاقتداء به فى تصحيح المعاملات • »

ثم يقول فى رسالته « لم يزل عصر فى مدة الاسلام وفيه شـــيخ من هذه الطائفة — يعنى الصـــوفية — الا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له ، وتبركوا به ••

كان الامام الشافعى يسأل شيبان الراعى ويدعن له ، وكان الامام أحمد ابن حنبل يرسل الدقائق الى أبى حمزة البغدادى ويقول : علمنا يا صوفى »

ويقول العلامة الشعرانى: « ولو أن طريق القوم يوصل اليها بالفهم لما احتاج مثل الغزالى ، وعز الدين بن عبد السلام الى شيخ ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما الطريق ، من قال : ان ثم طريقا للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله كذبا ، فلما دخلا الطريق • كان يقولان : قد ضيعنـــا عمرنا بالبطالة والحجاب » •

ومن أروع وأبلغ الكلم فى رسالة الشيخ والمريد قول الامام الشعرانى : « وحقيقة الصوفى هو عالم عمل بعلمه على وفق ما أمر الله به • ثم فتح له وعليه ، وكانت صور مجاهداتى لنفسى من غير شيخ أننى كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيرى ، وعوارف المعارف ، والقوت لابى طالب ، والاحياء للغزالى ونحو ذلك ، وأعمل كالذى يدخل دربا لا يدرى هل ينفذ أم لا ؟ فان رآه نافذا خرج منه والا رجع من التعب ، فهذا مثال من لاشيخ له ، فان فائدة الشيخ انما هى اختصار الطريق للمريد ، ومن سلك من غير شيخ تاه وتعب عمره ولم يصل الى مقصوده • »

ثم يقول :

« والشيخ فى الطريق ضرورة لازمة بالغ ما بلغ المريد ولو حفظ آلاف الكتب ، فهو فى هذه الحالة كمن يحفظ كتابا فى الطب ولا يعرف عمليا منازل الدواء على الداء ، فاذا سمعه سامع وهو يدرس الكتاب قال : انه طبيب عظيم ، فاذا رآه حينما يسأل عن اسم المرض وكيفية ازالته علم حينئذ مقدار جهله • »

ويقصد الشيخ كما يقول الشعرانى • أن تصفيه وأخلاقه • أن يكون متبحرا فى علوم الشريعة على اختلاف أنواعها ، عاملا بالفحـــوى ومذاهب الأئمة المجتهدة وغيرها ، بحيث يعرف أدلتها ومنازع أقوالهـــا ، ومأخذ كل من الكتاب والسنة يتفرع منها كل شىء • »

ويقول الامام الجنيد : « وكفى شرفا لعلم القوم ومنهجهم قول موسى عليه السلام للخضر : « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا »

وان تعود للعالم الاسلامى رسالته وقوته وصلته بالله سبحانه الا اذا عدنا الى رسالة تلك الجامعة ، وعملنا على النهوض بها ، لتعود سيرتها الاولى ،منارة للمسلمين ، وقوة للمؤمنين ، ومعراجا لكل خير فى الدنيا والدين :

● الاستاذ محمود فضل :

كيف نشأت كلمة الشيخ ، وكلمة المريد ، وما هو تطورهما التاريخى ؟

● الاستاذ حسن علوان :

الشيخ والمريد ، تسميتان ، أظن بمعناهما الصوفى لم يبرزا فى المجتمع الاسلامى ، الا فى القرن الرابع الهجرى

ولكن كلمة الشيخ وكلمة المريد ، لم تبرزا فى هذا العصر ، بمعناهما الصوفى وظل مفهوم كلمة الشيخ يؤدى معنى الشيخوخة ، أو التقدم فى السن ، ثم تطور الى معنى الوقار واتسع مفهوم هذا التعبير فأصبح يطلق على صاحب المذهب الصوفى بالشيخ ، ويطلق على تلاميذه واتباعه بالمريدين، واذا كان المريد هو اسم من أسماء الله ، فأعتقد أن القصد من هذه التسمية وادخالها فى الصوفية ، انه مريد لشيخه أو محب له ، وعلى ذلك تؤدى معنى المريد الحب ، والعلاقة الروحية التى تربط بين المريد والشيخ ، أو بين التلميذ والاستاذ ، وعلى مر الايام والسنين انتقل هـــذا المعنى من المجتمع الصوفى فانتظم نواحى اجتماعية بين المسلمين

انتقل الى ميدان العلم ، فأصبح العالم وتلاميذه ، يطلق عليهم الشيخ والتلاميذ ، واصبح صاحب المهنة ، يطلق عليه الشيخ أو الصبيان ، بل انتقل الى الاسرة أو القبيلة ذاتها فأصبح يطلق على رب الاسرة أو القبيلة ، شيخ القبيلة أو شيخ الاسرة ، ومن هذا يمكن أن نفهم مدى تأثير النظام الصوفى فى المجتمع الاسلامى الذى تغلغل فى كل مرافق الحياة فيه .

ونعتقد أن ما أوحت به الصوفية الى المجتمع الاسلامى بهذا النظام أو بتلك الصورة قد أدى دورا كبيرا فى نظمها وحياتهـــا ، حتى كان شيخ الصوفية يعد مسئولا عن مريديه فى حياتهم وتوجيههم والاخذ بيدهم الى الحياة الدائمة ، كما كان مطالبا منه ، ان يأخذ بأيديهم الى الحياة الطيبة فى الدار الاخرى

لقد كانت تقاليد الصوفية تعهد الى الشيخ بأن يكفل حياة المحتاجين من مريديه ، حتى حسب بعض هؤلاء المريدين فى بعض العصور أن الشيخ مكفول الرزق ، وانه ينفق من نحت السجادة كما يقولون ، هـــذا التعبير المأثور ينبىء عن مدى الرابطة التى تربط بين الشيخ ومريديه .

لم يكن سلطان الشيخ على مريديه منبعثا عن ثروته أو جاهه أو نفوذه ، وانما كان منبعثا من سلطانه الروحى على هؤلاء المريدين ومن أجل هـذا استطاع الشيخ أن يخضع العصاة ، ويلين القساة ، ويصلح المفسدين .

ومن أجل هذا أتت الصوفية رسالة سامية فى مختلف العصور فى حفظ الامن ورفع راية السلام واشاعة روح التعاون والمحبة بين الناس .

واذا كانت الحكمة المأثورة تقول : « يوزع بالسلطان مالا يوزع بالقرآن » فانى أخالف صاحب هذه الحكمة وأقول : انه قد يوزع بالصوفية وبالقرآن ما عجز عنه السلطان . وكثيرا ما عجز رجال الضبط والامن عن القضاء على الجريمة واستلال السخيمة من النفوس فجاء الشيخ بسلطانه الروحى وعلاقته بالمريدين فانتزع الحقد والضغن من نفوسهم ، وأحل فيهـا الحب والسلام .

ولهذا أعتقد أن الشيخ الصوفى اذا تيسر له أن يبسط سلطانه الروحى على مجتمع مريديه فانه يكون قد حقق رسالته المرجوة منه وهى التعاون على البر والتقوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الحب والسلام وما الى ذلك من الفضائل التى قد تعجز عنها التربية فى المدارس ، وقد تقصر دونها سطوة رجال الامن وسلطانهم .

● الدكتور محمد وصفى .

ما عدد الطرق الصوفية اليوم فى مصر ، وما هى وسائلها لتقوم بالدور العظيم الذى قامت به الطرق الصوفية أو الجامعات الصوفية فى الماضى

● سماحة السيد محمد محمود علوان :

الطرق الصوفية القائمة اليوم فى مصر تبلغ أكثر من ستين طريقة ، لكل منها شيخ له نواب فى المراكز ، ثم خلفاء فى البلدان والقرى يتولون ارشاد المريدين وهدايتهم وتربيتهم وتوجيههم الى ما يرضى الله ويرفع العباد

وهذه الطرق تتوارث التقاليد والآداب التى وضعها الشيوخ الاوائل ، كما تتوارث مناهجهم فى التربيـة والتوجيـه والذكر ، وتحظى بالبركة المتعاقبة من سلسلة شيوخ كل طريقة ، وكما يقول الشعرانى « عدد كل شيخ فى ورده »

وانا بحمد الله وبفضله ، بصدد أن نعيد لتلك الجامعات جامعات الطرق الصوفية جلالها واحترامهـا ، وما عرفت به من وظيفـة كبرى فى الامة الاسلامية ، وطريقة رشد الناس كافة الى التمسك بالدين وآدابه وأخلاقه ، بل التمسك بالاخذ بالنفس فى آداب الدين والدنيا ، حتى يعود التصوف كما كان عمق وثراء ورضوان من الله اكبر ، وعمل صـالح مبرور للناس يدوم للعباد .

الخلاصـــة

الطرق الصوفية ، أو جامعة الشيخ والمريد ، هى أعظم مدرسة للتربية والتعليم والتهذيب ، والدعوة الخالصة الى الله ، فى تاريخ الحياة الاسلامية

وقد حفظت هذه المدرسة للأمة الاسلامية ، أخلاقها وإيمانها ، وأشاعت فيها حب الله ، والاقتداء برسوله ، وعصمتها ووقتها من التيارات الالحادية والانحلالية ، وصمدت فى وجه الاستعمار الفكرى الاوربى ، والتقاليد والعادات الضارة بالمجتمع الاسلامى

كما استطاعت أن تهيمن على الجماهير الاسلامية ، وأن تشيع بينها المودة والمحبة والاخاء ، وان تلعب الدور الحاسم فى تثبيت دعائم الامن والسلام فى القرى والمدن الاسلامية ، وان تحفظ على الشباب الاسلامى أخلاقه وطهارته وعزته وثقته بالله ، وحبه لرسوله ، وإجلاله للاولياء والصالحين ، واتخاذهم مثلا مشعة ، تلهمه العمل الصالح والقول النبيل وتهديه سبل الحياة الصاعدة الطاهرة ، التى يحبها الله ويرضى عنها ، والتى هى جوهر الاسلام وروحه ، وسر قوته وخلوده ...

وانتهى اجتماع الندوة فى تمام الساعة الحادية عشرة مساء على أن تعقد الندوة التالية فى مساء يوم الخميس الموافق ٢٧ من صفر عام ١٣٧٨ هـ ١١ سبتمبر ١٩٥٨ م وستتدارس الندوة فى هذا الاجتماع موضوع : « حياة الرسول الصوفية » وذلك بمناسبة مولد الشريف الكريم ...